المقدمـــــــــة

المقدمة :

يتجلى هدف هذا البحث في القبض على هذه القيمة المراوغة دائما والمراوحة بين الخفاء والتجلي أبدا ، والمنسربة في نسيج القصيدة العربية الحديثة ـ عموما ـ لا تعلن عن نفسها الا من خلال إحساس غائم بالجمال . لا سبيل إلى اكتناهه بسهولة ، هذا الإحساس الذي حاوله ناقد حديث فلم يجد سوى مصطلح اللذة الايروسي ، فاكتفى به مقاربا بين الاثنين على المستوى التشبيهي (١) وهذه الدراسة تحاول أن تكتنه تلك الظاهرة الجمالية التي يتمتع بها الفن الشعري في شعر الفلسطيني " محمود درويش " بواسطة الكشف عن المقومات التي ينبني على أساسها شعره جماليا . وكان لاختيار هذا الشاعر عدة اعتبارات أساسية هي :

أولا : إن الشعر العربي منذ خمسينيات هذا القرن وهو يتمحور حول القضية الفلسطينية التي وهبها " محمود درويش " صوته الشعري كاملا ، وقد شكلت ، إن بنسبة أو بأخرى ، اضافة الى عناصر أخرى ، مفصلا رئيسيا في حركة تطور الشعر العربي الحديث . ولا نبعد إذا قلنا إنها قد وسمته ، بعنف ، بميسم السياسة (٢) .

ثانيا : إن " محمود درويش " في سياقه الفلسطيني الخاص وفي سياقه العربي العام يمثل الآن واحدا من أبرز شعراء القصيدة العربية الحديثة ، بل إنه يمثل الآن اتجاها فنيا له خصائصه وسماته المحددة (٣) .

ثالثا : إن " محمود درويش " لا يزال يمارس ابداعه الشعري ، ويتمتع بما يمكن أن نسميه " الهوس الإبداعي " الذي يحفزه دائما لمجاوزة نفسه ، ولا يمثل هذا الأمر معوقا

---

(١) يقول " رولان بارت " : .. فلذة النص شبيهة بتلك اللحظة التي لا يقر فيها قرار ، اللحظة المستحيلة ، الروائية المحض ، اللحظة التي يتذوقها الماجن في أعقاب دسيسة جسورة وهو يقطع الحبل الذي يشنقه عند لحظة المتعة "
" رولان بارت " لذة النص ـ ت : فؤاد صفا والحسين سبحان ـ دار توبقال / المغرب / ط ١ / ١٩٨٨ ـ ص ١٦ .

(٢) يذهب إلى ذلك كثير من نقاد الشعر ـ وأوافقهم ـ أنظر د / السعيد الورقي ـ لغة الشعر العربي الحديث ـ منشأة المعارف ـ الاسكندرية ط ١ / ١٩٨٠ ، وطراد الكبيسي ـ النقطة والدائرة ـ العراق / ١٩٨٧ ، ومحمد بنيس ـ حداثة السؤال ـ مقال : لمساءلة الحداثة ـ المركز الثقافي العربي / بيروت / ط ٢ / ١٩٨٨م .

(٣) د / يمنى العيد ـ مشكلة الشعر العربي الحديث في لبنان ـ ضمن أبحاث المؤتمر الأول للكتاب اللبنانيين ـ دار العلم للملايين / بيروت / ط ١ / ١٩٨٠ وكذلك د / يمنى العيد ـ في القول الشعري ـ دار توبقال / المغرب / ط ١ / ١٩٨٧م .

لدرسه قد رما كان مرجحا لاختياره ،فان معاصرة الموضوع لدراسته تأتى فى مقدمة الاعتبارات حيث يتوجه الدرس ناحية الفنى المعيش الذى ما يزال يثير حوله من الصراع ، وليس الجدل فحسب ،الكثير نظرا لقلة التطبيقات ،وسط موجة التنظير السائدة الآن بقوة ، وكذلك لغموض هذه التطبيقات إذا وجدت الذى يكاد يماثل غموض الفنى أحيانا إن لم يفقه أحيانا أخرى ..

أما عن عنوان الرسالة " مقومات الفن الشعرى ... " فأعنى به هذه الخصائص القارة فى " فن الشعر " ، فإن لكل جهد إنسانى أسسه التى يرتكز اليها ليتبلور عملا له خصائصه وغاياته ، ولا يختلف الجهد الإبداعى الفنى عن أى جهد أخر اللهم إلا فى نوعية المرتكزات أو الأسس التى ينطلق منها . والأهداف والغايات التى يرمى اليها ، ومن هنا فان تبلور اللغة ، وهى اجتماعية أساسا فنا شعريا يجب أن يقوم على عدد من المقومات الخاصة بجنس " الشعر " لا تختلف من عصر إلى آخر ،أو من شاعر الى سواه ،إلا فى الكيفية التى تتحقق بها ، هذه الكيفية التى تسم كل عمل فنى بالخصوصية التى تميزه من سواه ،واذا كانت معاصرة الموضوع لهذه الدراسة واحدة من مرجحات الاختيار فقد واجهت " الباحث " حقيقة قلة الدراسات التى تناولت شعر " محمود درويش " ،ففى الوقت الذى ملك " الشاعر " على الأسماع العربية أقطارها من المحيط إلى الخليج لا نجد دراسة توفرت على دراسته فنيا واستطاعت أن تخلص من انتمائها إلى الجرح الفلسطينى حين نظرها فى شعره ،حتى لقد صرخ " درويش " فيهم مبكرا " أنقذونا من هذا الحب القاسى " مفضلا أن يوضع فى سياقه الطبيعى داخل الشعر العربى على مجرد الإعلاء الفارغ المتكى ، على عاطفة قومية وليس نظرة نقدية ، يقول :" انه آن الأوان لأن توضع حركتنا الشعرية فى مكانها الصحيح بصفتها جزءا صغيرا من حركة الشعر العربى المعاصر عامة ،وذلك يستدعى تخلص الناقد العربى من الخضوع التام لدوافع العطف السياسى وحدها على أصحاب هذه الحركة ،فلا يكفى هذا الشعر أنه يكتب فى اسرائيل ،إن وضع الحركة فى مكانها الصحيح هو خير طريقة لنموها وتطورها لارتياد آفاق أوسع. (١) .

غير أن مسيرة " النقد العاطفى " تلك قد بدأت فى الانحسار لنجد بين أيدينا عدة دراسات سمتها الغالبة هى الجزئية ،ولم تخل من بعض العاطفة ، وقد

---

(١) " محمود درويش " مقالة " أنقذونا من هذا الحب القاسى " عن كتاب الاستاذ رجاء النقاش " محمود درويش " شاعر الارض المحتلة - دار الهلال القاهرة / ط ٢ / ١٩٧١ - ص ٢٣٧ .

تراوحت هذه الدراسات بين النقد الصحافي كما في كتاب الأستاذ " رجاء النقاش " والمقالات النقدية التي تضمنتها الدوريات (١) والتي لا تلمس إلا بعض الظواهر التي تتسع لها حدود المقالة ، وكذلك دراسة ديوان بذاته سواء في دورية أو كتاب خاص (٢) وأخيرا الدراسة التي تخلط بين الفكري والفني حيث يطغى الأول على الثاني (٣).

أما الدراسات الجامعية ـ الأكاديمية ـ فلم يظفر " درويش " حتى الآن الا بدراستين : الأولى تقدمت بها الباحثة " كاثيازخاريا " إلى جامعة السوربون وحصلت بها على درجة الدكتوراه وكانت بعنوان " الزمن الشعري عند الشاعر الفلسطيني "محمود درويش " وقد تناولت الباحثة فكرة الزمن الشعري والرؤية الفلسطينية للأحداث عبر الحركة الزمنية للأفعال في سياق الكتابة الشعرية والتعبير عن الوقت كمادة عبر الكلمة (٤) وقد حالت ظروف المكان واللغة دون الإطلاع عليها ، أما الرسالة الثانية فكانت للباحث " محمد صلاح زكي محمود أبو حميدة " وكانت بعنوان " الخطاب الشعري عند محمود درويش دراسة أسلوبية " ونال عنها درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة عين شمس ، وكان اعتماد الباحث للمنهج الأسلوبي مبررا لتناول شعر " درويش " مرة أخرى فاختلاف المنهج يبرر تعدد الدراسات بما يضيء أكثر جوانب الموضوع .. أما منهج هذه الدراسة فانه منهج فني أساسا ثم يتسع ليحتضن كل ما يمكن أن يفتح النص الشعري ويستنطق جمالياته ولذا فقد تضافرت عدة اتجاهات نقدية في اثراء المنهج الفني من نظرات صائبة وردت في تراثنا العربي ، وكذلك جهود النقاد المعاصرين على اختلاف منازعهم ومراميهم ، كما ابتدرت الدراسة بعض معطيات المناهج الغربية الحديثة سواء في علم اللغة أو النقد الادبي أو علوم الاجتماع ، متى كان هذا مفيدا

---

(١) كثيرة هذه المقالات الا أنني أنوه بدراسة الشاعر رفعت سلام على وجه الخصوص " العرس الذي لا ينتهي " ـ مجلة أدب ونقد ـ عدد ٢٢ سنة ١٩٨٦ ، ود راسة الناقدة " ويتاعوض " خروج محمود درويش هل قتل الشاعر أم بعثه ـ مجلة شئون فلسطينية ـ عدد ٢٥ سنة ١٩٧٣ ، ود راسة الناقد " عمر الصاوي " عن الشاعر بعنوان " المأساة واللغة " مجلة الطليعة الادبية ـ العدد ٣ ، ٤ سنة ١٩٨٧ .

(٢) من أمثال دراسة د / صبري حافظ لديوان " ورد أقل " بعنوان " ورد أقل والبنية الجدلية لتجربة التشتت والتخلي " ـ مجلة ابداع ـ عدد ٥ ، ٦ السنه السابعه ١٩٨٩ ـ ود راسة خالد حسن لديوان " مديح الظل العالي " بعنوان خصوصية الرؤيا والتشكيل في شعر محمود درويش مجلة فصول ـ المجلد السابع العدد ١ ، ٢ ١٩٨٦ / ١٩٨٧ ود راسة د / أفنان القاسم لنفس الديوان بعنوان " مسألة الشعر والملحمة الدرويشية " عالم الكتب ـ بيروت ط ١ ١٩٨٧

(٣) أعني دراسة الناقد شاكر النابلسي ـ مجنون التراب : دراسة في شعر وفكر محمود درويش ـ المؤسسة العربية /

لموضوعها ، دون أن تقع في أسر أي من هذه الاتجاهات ، لتظل ، أو هكذا حاولت أن تكون ، أمينة على نص " درويش " الشعري . فلم تقسره على رأي يستهويها ، أو تعنف به الى جهة تريدها ، هذا دون إهمال للواقع التاريخي والاجتماعي الخاص بالقضية الفلسطينية حيث توحد دائما الفني والثوري في شعر " درويش " أو ما يسميه " التطبيق العملي لخيارنا الوحيد : الإبداع في الثورة والثورة في الإبداع (١) .

هذا دون أن تفقد الدراسة منهجها الفني في اكتناه جماليات الفن الشعري ومقوماته في شعر " محمود درويش " حيث ساد الاتجاه التحليلي وكثرت الأمثلة الشعرية لتكون الطريق الى " الشعر " نقديا ـ هي " الشعر " نفسه .

أما تقسيم الرسالة فكان على أربعة فصول وخاتمة ، وقد اختص كل فصل بمقوم من مقومات الفن الشعري عامة ، من ايقاع ولغة وصورة وفكر ، وكانت الخاتمة استخلاصا للنتائج واكتشافا لخصائص الاتجاه الفني الذي يمثله " محمود درويش " .

(في الفصل الاول تناولت : الشكل الموسيقي ـ مراحل تطوره وأنماطه الجمالية ، وقد كان الابتداء بالتشكيل الموسيقي على غير عادة بعض الابحاث (٢) ـ وربما معظمها ـ اتكاء على أن الموسيقى الشعرية تنظيم أصواتي ، والصوت أصغر وحدة لغوية ، ومن هنا كان التدرج المنهجي للبحث من الصوت إلى الجملة إلى الصورة تدرجا طبيعيا ، إضافة الى أن الموسيقى الشعرية عند " درويش " واحدة من أهم سمات قصيدته وإحدى حاملات دلالتها ، كما أنها تعبر ، في رؤيته الابداعية ، عن هاجس إبداعي يجعلها دائما محلا لعملية التطوير والتجاوز لتقاليد " درويش " الفنية نفسها ، فهو القائل : " أتمسك مهما قالت فوضى الحداثة بغنائية تطل على تخوم الغنائية الملحمية " (٣) .

---

(١) " محمود درويش " الزمان بيروت / المكان آب ـ مجلة الكرمل / عدد ٢١ ، ٢٢ عام ١٩٨٦ ـ ص ٧١ .

(٢) نجد هذا في كثير من الدراسات الاكاديمية خاصة ، وأذكر على سبيل المثال د / محسن أطيمش في رسالة دكتوراه منشورة بعنوان " دير الملاك " دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر" العراق / ١٩٨٢ ، ورسالة دكتوراه منشورة كذلك للدكتور / عبد القادر الرباعي بعنوان " الصورة الفنية في شعر أبي تمام جامعة اليرموك / الاردن / ١٩٨٠ ، وكذلك في رسالة الماجستير للباحث " محمد صلاح زكي " عن محمود درويش .
وربما يعود هذا التأخير الموسيقى الشعر الى عدم اكتناه الباحثين للقدر الدلالي الذي يحمله التشكيل الموسيقي والذي يتضافر مع المقومات الاخرى في ابداع المعنى الشعري الكامل والا فقد كان حقه التقديم حيث يعبر عن أصغر وحدة تشكيلية في كل نص شعري (الأصوات) .

(٣) محمود درويش ـ حوار أجرته " وكالة الصحافة الفرنسية " مع الشاعر ـ مجلة

فى هذا الفصل تناولت مراحل تطور الشكل الموسيقى متتبعا فى ذلك أهم سمات كل مرحلة كما التفت الى دور الصوت اللغوى فى تشكيل موسيقى الشعر ، وفى غضون البحث تناولت ـ ضمنا ـ وظائف القافية دون أن أفردها عن الوزن الشعرى من منطلق أن القافية فى الشعر الحديث أصبحت من المكونات العضوية للشكل الموسيقى .

* وفى الفصل الثانى : تركيب اللغة الشعرية ـ أنماطه وظواهره "

وقد تناولت جماليات التركيب اللغوى باحثا فى الشكل النحوى للجملة ، ومساهمته فى خلق الدلالة الشعرية ، وقد بدأت بمناقشة بعض النظرات الغربية . وآراء النقاد العرب المتابعين له وخلصت من هذه المناقشة الى تركيب الجملة الشعرية عند " محمود درويش " محددا أنماطها والصور المتعددة التى تحتويها هذه الأنماط .

* وفى الفصل الثالث : الصورة الشعرية والتشكيل الجمالى "

وقد تناولت التشكيل الجمالى للصورة الشعرية محددا أنماطها وشارحا إياها من خلال أمثلة تمثل ظواهر تشكيلية ـ تصويرية ـ فى شعر " درويش " رابطا هذا كله بالسياق الخارجى للواقع الفلسطينى حيث تمثل الصورة الشعرية نزوعا إبداعيا لدى الشاعر إما لتصوير واقعه أو لتثويره أو خلق واقع مواز له وبديل عنه كملاذ فنى من بشاعته ، وقد عمدت إلى إخراج كل من " الرمز " و " الأسطورة " من مبحث الصورة ـ التى هى أساسا تشكيل ترميزى ـ من منطلق أن كلا من .. الرمز .. و .. الاسطورة " يمثلان موروثا إنسانيا مشتركا بمعنى أنهما عنصران ثقافيان خارجيان وسابقان على النص ، ومن هنا جاء تأخيرهما إلى الفصل الرابع لنفصل بينهما وبين " الترميز " أو التعبير الأسطورى " الذى يعود كليا إلى مقدرة الشاعر الإبداعية وليس الى مقدرته على الاستثمار وتوظيف ما هو موجود سلفا .

* وفى الفصل الرابع : الإلتزام ورؤية العالم الشعرية

وقد قمت أولا باستخراج رؤية " محمود درويش " الشعرية لواقع قضيته : من خلال ملاحظة مراحل تطور وعى الشاعر مع تعقد واقعه ، وبعد ذلك بحثت كيف استطاع الشاعر أن يوظف مادة هذا الوعى جماليا فى قصيدته وذلك من خلال توظيفه " للرمز " و " والأسطورة " و " المفردات الثقافية المعاصرة " داخلها .

وفى نهاية البحث كانت " الخاتمة " استخلاصا لأهم نتائج هذه الفصول .